اتابكية دمشق والأوضاع السياسية في بلاد الشام 497هـ-549هـ/1104-1154م

م.د. رعد يونس عباس
المديرية العامة لتربية بغداد /الكرخ الاولى

المقدمة.

تكلمت في هذا البحث عن اتابكية دمشق والأوضاع السياسية في بلاد الشام من (497هـ-549هـ) وهذه الفترة تعد من الفترات المهمة في تاريخ بلاد الشام بصورة عامة ودمشق بصورة خاصة فقد تعرضت بلاد الشام في العام 490هـ إلى الحملة الصليبية الاولى التي استطاعت ان تخترق آسيا الصغرى بالكامل وتصل إلى بلاد الشام دون عناء الا في بعض الحالات التي لم تستطع ان توقف هذا الهجوم الصليبي ليتمكن في سنوات قليلة جدا من تأسيس أربعة إمارات (الرها، انطاكيا، بيت المقدس وطرابلس)وعندما استفاق المسلمون من هول الصدمة بعد ان كانوا في صراعات مستمرة فيما بينهم فالصراع في هذه الفترة كان على اشدة بين سلاطين السلاجقة على تولي كرسي السلطنة بعد وفاة ملك شاه والصراع ذاته كان موجود في آسيا الصغرى بين قلج ارسلان سلطان سلاجقة الروم وغازي بن الدانشمند ، اضف إلى ذلك الصراع السلجوقي الفاطمي في بلاد الشام نفسها ، ولهذه الأسباب كان قدوم الصليبيين من السهولة بمكان ان يحققوا كل ذلك بفترة قياسية وكان اختياري لهذا الموضوع لاهمية اتابكية دمشق منذ تولاها طغتكين إلى ان وصلت إلى معين الدين انر ومواقف هؤلاء الاتابكة من حركات الجهاد القادمة من الموصل متمثلة بمودود بن التونتكين مرورا بعماد الدين زنكي ومن ثم ابنه نور الدين الذي تمكن من السيطرة على دمشق سنة 549هـ.

وقد قسمت البحث إلى اربعة مباحث .

المبحث الاول: تطرقت فيه عن اوضاع دمشق قبل قيام اتابكية البيت البوري وكيف انتقلت دمشق من امير إلى امير حتى استقرت بيد دقاق بن تتش واتابكة طغتكين إلى وفاتة سنة 497هـ وانفراد طغتكين بالحكم في دمشق.

المبحث الثاني :تناولت فيه اوضاع دمشق منذ بداية اتابكية دمشق والتعاون الذي حصل بين الوزير الفاطمي الافضل بن بدر الجمالي ،والصراع مع بلدوين الاول والاتفاق الذي حصل معه ودفاعه عن صور والاتفاق مع الخلافة الفاطمية للاشراف على صور من قبلهم ،ومساعدته لمودود في جهادة ضد الصليبيين في بلاد الشام .

المبحث الثالث: تطرقت فيه إلى تولي تاج الدين بورى لاتابكية دمشق وصراعه مع عماد الدين زنكي ودفاعة عن دمشق ووفاته وتولي ابنه اسماعيل الذي كان فاسدا لم تطل ايامه وتولى بعده أخيه شهاب الدين محمود وحصار دمشق.

المبحث الرابع : تحدثت فيه عن مقتل شهاب الدين محمود وتولي جمال الدين محمود وانفراد معين الدين انر بتسيير امور دمشق ، ووفاة جمال الدين محمود وتنصيب مجير الدين ابق محمد مكانة ، ووفاة زنكي وعدم استطاعته فتح دمشق ،واستمرار محاولات ابنه نور الدين محمود للسيطرة على دمشق إلى ان تمكن بعد وفاة معين الدين انر سنة 544هـ وتسارع الاحداث في الانحدار من سيء إلى اسوء إلى ان تمكن من فتحها سنة 549هـ .

المبحث الاول

دمشق قبل تولي البيت البوري حكمها .

بعد ان بسط السلاجقة سيطرتهم على ارمينية وثبتوا اقدامهم في تلك المناطق توجهوا بأنظارهم إلى بلاد الشام فقام ملك شاة بتجديد التكليف الذي اصدره البارسلان لاحد قادتة وهو اتسز بن ابق الذي استطاع قبل سبع سنوات من غزو فلسطين ودمشق لحسابة الخاص [1]، وقد تمكن اتسز في سنة 464هـ ان يسيطر على الرملة وبيت المقدس وفلسطين بأكملها ماعدا ارسوف ، وفي سنة 468هـ فرض سيطرته على دمشق، وتمكن في سنة 467هـ شكلي بن ابق اخو اتسز من ضم عكا وذلك بعد ان غادرها صاحبها بدر الجمالي إلى مصر بناء على استدعاء الخليفة الفاطمي [2]، وحدث خلاف بين الاخوين اتسز وشكلي ادى إلى صراعات مريرة انتهت بقتل شكلي على يد الامير السلجوقي [3]، وفي هذا الوقت وصلت قوة ارسلها السلطان السلجوقي إلى اتسز واستعد للهجوم على دمشق ، وكان اتسز دائم التعرض للمدن المحيطة بدمشق وكان يستفاد من المحاصيل الزراعية ويتقوى بها واستمرت المدينة تقاوم رغم الظروف الصعبة التي مرت بها[4] ، واذا رجعنا

إلى الظروف التي كانت تمر بها دمشق من الداخل فأنها كانت تعاني من ظلم وتعسف اميرها معلي بن حيدرة الذي نشبت ضدة ثورة ادت إلى مغادرتة المدينة الا ان اوضاع المدينة لم تتحسن والوالي الجديد لم يتمكن من ضبط الامور،الامرالذي شجع على اغتنام الفرصة ففرض اتسزحصارا على المدينة التي استسلمت في نهاية المطاف ودخلها سنة 468هـ واقيمت الخطبة للخليفة العباسي المقتدي وقطعت الخطبة عن الخليفة الفاطمي المستنصر وتلقب اتسز بلقب الملك المعظم[5]، ودعاة المؤرخون والناس بصاحب الشام واستمر يمارس سلطاتة بأسم السلاجقه واغرت هذه الانتصارات اتسز بغزو مصر سنة 470هـ الا انه مني بهزيمة كبيرة امام امير الجيوش بدر الجمالي قضت على امالة في التوسع [6]، وشجع هذا النصر بدر الجمالي بارسال قوة لاستعادة النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام بقيادة ناصر الدولة الجيوشي 471هـ ،واستولى على فلسطين وعندما وصلت الاخبار إلى اتسز ادرك انه ليس له قبل بهذه القوة القادمة من مصر فأستنجد بتتش ووعده بتسليم دمشق وان يكون تابعا له [7]، لم يكن تتش بحاجة إلى هذه الدعوة فهو كان يرنو بأنظارة إلى دمشق فأتجة على وجة السرعة إلى دمشق وبعد سماع ناصر الدولة الجيوشي ذلك انسحب عن دمشق ورفع الحصار عنها،وعند وصول تتش إلى دمشق استقبلة اتسز وسلمة المدينة وقدم له الطاعة،وبعد ان استقرتتش في دمشق ادرك ان طموحات اتسز تسبب له المتاعب فقرر التخلص منه،وتسلم دمشق من دون قتال وقام بتأسيس امارة له ولاسرتة[8]، وفي ظل هذه التطورات توجة مسلم بن قريش العقيلي إلى حلب بعد ان استدعاة سابق بن محمود المرداسي امير حلب للقدوم مخافة وقوعها بيد السلاجقة ، وهكذا انتقلت حلب من حكم امارة بني مرداس إلى حكم الامارة العقيلية واصبح مسلم بن قريش العقيلي حاكما على شمالي بلاد الشام اضافة إلى اقليم الجزيرة الفراتية وقسم من العراق [9]، ونتيجة حتميه لهذه الصراعات ان يصطدم مسلم بن قريش العقيلي مع سليمان بن قتلمش الامر الذي ادى في النهاية إلى مقتل مسلم على يد سليمان بن قتلمش سنة 478هـ ، واستمر سليمان بن قتلمش بحصار حلب الا انها قاومت هذا الحصار ورفضت التسليم وتوجه تتش اليها بناءا على دعوة اهلها وعندما سمع سليمان بن قتلمش ذلك ترك حصار حلب وتوجه إلى لقاء تتش وفي هذه المعركة قتل تتش سليمان بن قتلمش [10]، ووصل ملك شاة وتسلم المدينة وتركها تتش وتوجه إلى دمشق دون ان يلقى اخية ومنح ملك شاة حلب إلى حاجبه اق سنقر مؤسس البيت الزنكي ،وكان ملك شاه يحلم بامارة سلجوقية كبيرة في بلاد الشام ، الا

ان وفاته سنة 485هـ ادت إلى تفكك امبراطورية السلاجقة ، كون ملك شاه ترك بعد وفاته اربعة من الابناء وهم بركياروق ومحمد وسنجر ومحمود وسرعان ما دب النزاع بين بركياروق والابن الاصغر محمود ابن تركان خاتون وفي النهاية اتفق الطرفان بعد حروب عديدة على ان يحتفظ محمود باصبهان وفارس على ان تكون بقية الدولة السلجوقية بما فيها لقب السلطنة من حصة بركيا روق [11] ، الا ان الخطر الذي هدد وجود بركياروق هو عمة تتش الذي اراد ان تكون الشام له ،الا ان ملك شاة قام بتوزيع بلاد الشام على رجاله وقادته فأعطى حلب لحاجبه اق سنقر واعطى انطاكيا لياغي سيان والرها لبوزان ، وفي نهاية المطاف حدث الصدام بين بركيا روق وتتش بعد ان سار له إلى بلاد فارس للاستيلاء على السلطة ،ولكن اق سنقر الحاجب تركه في اللحظة الاخيرة مما ادى إلى هزيمة تتش امام بركيا روق وعاد إلى بلاد الشام،ومن ثم قام بالانتقام من اق سنقر بقتله لتركه اياه في معركته مع بركيا روق[12]، وحاول تتش مرة ثانية التوجه إلى بلاد فارس وهزيمة بركيا روق ولكنه خسر هذه المعركة وفقد حياته فيها مما ادى بالنتيجة النهائية إلى بداية انحلال السلطة السلجوقية، فبركيا روق لم يستفد من هذا النصرالذي حققه على عمه تتش ولم يتقدم بأتجاه بلاد الشام وفرض سيطرته عليها وبعد مقتل تتش ترك خلفه اثنين من الابناء هما رضوان الذي اخذ حلب ودقاق الذي اخذ دمشق [13]، الا ان ابناء تتش لم يكونوا بمستوى الاحداث التي كانت

تتسارع في اواخر القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر ،توجة الصليبيين إلى بلاد الشام وكذلك ظهور عدد كبير من البيوت الحاكمة التي لاتجمعهما رابطة الا الاتصال بالبيت السلجوقي ، وفي تلك البيوت ظهرت وحدات سياسية اطلق عليها اسم الاتابكيات والاتابك لفظ تركي معناة مربي الملك ، فالسلاجقة عندما يبرز احد قادتهم يقومون بتكريمة بهذا اللقب تكريما له، ومن تلك الاتابكيات التي ظهرت اتابكية دمشق ، ومؤسسها ظهير الدين طغتكين الذي كان مملوكا ثم قائدا لتتش واتابكا لابنه دقاق اي مربيا له [14]، كل ما ذكرنا قد حصل والقوات الصليبية على ابواب بلاد الشام واستمرت النزاعات بين الاخوان والاقارب فهذا ياغي سيان امير انطاكيا لم يكن مخلصا لرضوان واتبع سياسة متارجحة في علاقتة معه لاسيما في الصراع الذي شب بين رضوان واخيه دقاق صاحب دمشق[15]، وبناءا على ذلك فان ياغي سيان قد وقف إلى جانب رضوان عندما اراد ضم دمشق إلى حلب وانتزاعها من اخية ، ولم يتوانى طويلا حتى انحاز إلى دقاق صاحب دمشق لمهاجمة رضوان في حلب ، الا

ان دقاق فشل ايضا في هجومه رغم المساعدة التي قدمها ياغي سيان [16]، وبعد وصول القوات الصليبية واحتلالها لرها وسيرها نحو انطاكيا التي استقل بها ياغي سيان التي كانت تابعة لحلب ، وبمواقف ياغي سيان السابقة لم يستطع ان يطلب المساعدة من رضوان صاحب حلب ، فارسل ابنه شمس الدولة إلى دقاق ملك دمشق لنجدته في صد هجوم الصليبيين [17]، وحتى لا نخوض طويلا في موضوع انطاكيا فأن وضع العالم الاسلامي في تلك الفترة كان يثير العجب فهم والى تلك اللحظة لم يدركوا اهداف الحملة الصليبية على بلادهم وراح كل طرف يمني نفسه في ان يحقق الصليبيين ما عجز عنه في ضرب اخيه المسلم فالدولة الفاطمية في مثل هذه الظروف تتوجه إلى فلسطين وتحتلها بدل من اتحادهم مع السلاجقة لصد هذا الخطر الخارجي الذي لا يفرق بين عربي وتركي وبين سني وشيعي .

حاول الصليبيون ان يرسلوا رسائل تطمين إلى الدولة الفاطمية وكذلك إلى دقاق يطمئنوه على مصيره مؤكدين ان ليس لهم طمع في اي من البلاد سوى الاماكن التي كانت تابعة للدولة البيزنطية اي الرها وانطاكيا واللاذقية ،وهكذا استطاع الصليبيون ان يلتهموا الامارات الاسلامية واحدة بعد الاخرى بعد ان فرقوهم واوهموهم بأنهم غير مقصودين في هذا التوجه ، فدقاق هدء وظل حينا من الزمن لا يحاول التدخل لدفع خطر الصليبيين عن انطاكيا، واستمر الصليبيون بحصارهم لانطاكيا لمدة ثلاث اسابيع استطاعوا دخولها من خلال احد الابراج التي تمكنوا من ان يجدوا لهم خائنا سلمهم البرج ودخلوا المدينة ، وترك كربوقا امير الموصل حصار الرها وتوجه إلى انطاكيا واجتمع مع دقاق صاحب دمشق واتابك طغتكين وغيرهم من الامراء[18]، وحاصروا القوات الصليبية الموجودة في انطاكيا وحدثت مراسلات بين الصليبيين وكربوقا امير الموصل لترك المدينة والعودة إلى بلادهم ولكنه رفض ذلك وحاول الاتصال برضوان صاحب حلب الا ان ذلك شق الصف الاسلامي ،فقرر دقاق الرجوع إلى بلاد الشام [19]، وهكذا يتضح لنا ابأن التحالف الاسلامي لم يكن مستعدا للوقوف صفا واحدا بوجه القوات الصليبية نتيجة احقادهم الشخصية ،وتباين مصالحهم الخاصة التي شغلتهم عن هدفهم المشترك .

واستطاع الصليبيون الخروج من انطاكيا وقتال المسلمين والانتصار عليهم واقام بوهمند الامارة الثانية في انطاكيا بعد ان اقام بلدوين امارة الرها واقام جود فري امارة بيت المقدس وبعد هذه الانتصارات التي حققها الصليبيون في فترة وجيزة وعدم تفريقهم بين

مناطق النفوذ الفاطمي او السلجوقي [20]، عزم الوزير الفاطمي الافضل بن بدر الجمالي القيام بحملة ضد القوات الصليبية في المناطق الساحلية التي سيطروا عليها فارسل ابنه شرف المعالي إلى بلادالشام.

المبحث الثاني

تولي طغتكين الاتابكيه

اصبح طغتكين صاحب السلطة في دمشق بعد وفاة دقاق سنة(497هـ) وطلب الافضل منه المساعدة وهذا اول تقارب بين المذهبين في حرب الصليبيين ، وابدى طغتكين فرحة بذلك وقام بارسال قائده اصبهذ صباو مع الف وثلاثمائة مقاتل وهذه تعد خطوه في تتوحد الجهود لقتال الصليبين[21]، وتحركت قوات الافضل تساندها عساكر دمشق وتحرك بلدوين ومعة ارتاش اخو دقاق المطالب بسلطة دمشق وانتصر بلدوين في هذه المعركة على شرف المعالي الذي انسحب إلى القاهرة، وعاد صباو إلى دمشق [22]، وهكذا انتهت هذه الحملة دون تحقيق ما تصبو اليه في الانتصار على الصليبيين .

وحاول بلدوين الاول الاستفادة من الانتصار الذي حققه على شرف المعالي فتوجه إلى صيدا من اجل السيطرة عليها مستعينا باسطول بحري من جنوه والبندقيه فارسل حاكم صيدا إلى طغتكين اتابك دمشق طالبا المساعدة وعارضا عليه مبلغ ثلاثين الف دينار لقاء ذلك ، واستطاعت قوات طغتكين ان تنزل هزيمة ببلدوين الاول واثر الانسحاب إلى عكا[23]، وبعد مغادرة بلدوين الاول من امام صيدا رفض حاكمها السماح للجيش الدمشقي بدخولها ،ويبدوا انهم ارتابوا من نوايا طغتكين وخافوا سيطرة الاتابك على المدينة وهدد طغتكين بأنه اذا لم يرحل فانة سوف يستدعي الملك الصليبي ، ولكن تبين ان الملك الصليبي قد غادر إلى غير رجعة ، فهدد طغتكين حاكم صيدا باقتحام المدينة ، الا انه تم الاتفاق ان يدفع مجد الدولة مبلغ عشرة الاف دينار تعويضا للجيش الدمشقي لخروجهم لمساعدته [24]، واعاد بلدوين الاول الكرة على صيدا سنة 405هـ بعد ان وصلت إلى عكا سبعون مركبا تحمل عشرة الاف مقاتل واستطاع ان يستولي على مدينة صيدا بعد حصار دام اربعون يوما[25]، لما تملكة هذه المدينة من موقع جغرافي وثروة زراعية كبيرة ، وفي سنة 501هـ توجه بلدوين إلى صور وحاصرها بضعة اشهر ولكن واليها هادن بلدوين ودفع له سبعة الاف دينار فضي ورحل ،ولكنه عاد اليها بعد عدة سنوات ،وعندما علم عز

الملك والي المدينة بتوجة بلدوين الاول قام بالاتصال بطغتكين بعد ان عجز الفاطميون عن مساعدتة فارسل سنة 505هـ اليه يطلب امدادة بكتيبة من الرماة مؤلفة من خمسمائة مقاتل تتولى حماية المدينة ، ويقوم مقابل ذلك بدفع عشرين الف دينا لهم ، وهدد ان لم ينجده فانة سوف يسلم المدينة للصليبيين ، فاستجاب طغتكين لذلك ، وقام بلدوين بحصار المدينة ونصب المجانيق [26]، وقاوم اهل صور الحصار والقصف فاستنجدوا بطغتكين اتابك دمشق ووعدة بتسليم مفاتيح المدينة مقابل حمايتهم ، وارسل رسالة إلى مصر يبرر ما سوف يقوم به من عمل خشية ان يتهم بالخيانة ، وتحرك طغتكين لانجاد صور وتعرض إلى مضايقات كثيرة لصده عن الوصول إلى صور، وبالمقابل شدد بلدوين الحصار على المدينة من اجل السيطرة عليها [27] ، وخرج طغتكين من دمشق على رأس قواتة إلى صور وعسكر في بانياس ، وشنت القوات الاسلامية هجمات متكررة على المناطق المجاورة لصور لتخفيف الضغط على المدينة وهاجم حصن حبيس جلدك من اعمال دمشق وامتلكه بالسيف ووصل إلى اعمال صور ، وعندما لم ينسحب بلدوين الاول وبقى على حصاره تحرك طغتكين إلى ربض صيدا ووصل إلى مينائها ، وقتل مجموعة من البحارة الصليبيين واحرق نحو عشرين مركبا ، كما ارسل إلى اهل صور يحثهم على الصمود [28]، ونتيجة لصمود اهل صور الاسطوري وطول المدة التي قضاها بلدوينفي حصار المدينة ، وخوفه من ان يستولي طغتكين على غلات بلادة رفع الحصار عن صور في (10شوال 505هـ) وعاد إلى عكا وعاد طغتكين إلى دمشق ، وهكذا قام عز الملك بتسليم المدينة إلى طغتكين بعد ان اثبت صدق جهاده ،وسرعة استجابته لنجدتهم ،وتم ترتيب تسليح المدينة مع تاج الملوك بورى بن طغتكين بسبب انشغال والده في حماة ، وارسل الاتابك فرقة عسكرية إلى صور ، وسمح الاتابك طغتكين باقامة الخطبة والدعوة للامام الفاطمي [29]، وارسل الاتابك رسالة إلى الافضل يخبره بما فعله لحماية المدينة ويطمئنه بحسن نواياه ، وانه سيقوم بتسليمها حال وصول من يرسله الفاطميون اليها ، ويتمنى ان لا يهمل الفاطميون امرها ، وتسلم طغتكين صور سنة (506هـ) [30]، وفي اعقاب هذه الاجرائات التي اتخذها والي صور واتفاقة مع طغتكين ادرك بلدوين الاول ان غزو صور بهذا الوقت لا يمكن تحقيقة وارسل إلى واليها طالبا عقد هدنة بين الطرفين فاستجاب سيف الدولة وعقد الهدنة [31]، الا ان بلدوين الاول كان دائم التفكير في توسع مملكته بريا وبحريا وعلى هذا الاساس قام بمنح هيوسانت اومردي حكم طبريه وكلفه بقتال المسلمين ، فتوجه هيو نحو الجليل والتمدد نحو الشمال

الغربي تجاه صور والشمال الشرقي في اقليم السواد ،وقام ببناء حصن علعال حتى يتهيا لشن الغارات ضد اقليم السواد

من الجهه الشرقية لبحيرة طبرية [32]، وهذا الاقليم تابع لاتابكية دمشق ادى بناء الحصن إلى غضب طغتكين اتابك دمشق وعدها خطوة مباشرة في تهديد بلادة فاخذ طغتكين يتحين الفرص للانقضاض على القوات الصليبية وتهيئت له الفرصه عندما كان هيو عائدا من احدى الغارات محملا بالغنائم فانقض علية واستطاع ان يلحق هزيمة قاسية به وجرح هيو نفسة بجرح بالغ ادى إلى وفاته واستولى على الحصن وما فيه من الات [33]، واستمر طغتكين بشن هجمات على طبرية وفي(رمضان501هـ) نصب طغتكين كمينا لقوة صليبية بقيادة جيرفيه بوسوك واستطاع هزيمتهم واسر قائدهم ، وعرض على بلدوين الاول اطلاق سراح قائده الاسير بشرط الانسحاب من طبرية وعكا وحيفا ، ولكن بلدوين الاول رفض هذا العرض فقام طغتكين بقتل جيرفيه [34] ونتيجة لما مر وكونه لم يستطع تحقيق اي مكسب ملموس على ارض الواقع دعى بلدوين الاول طغتكين إلى عقد هدنة امدها اربع سنوات في (جمادي الاول 502هـ) واتفقا على اقتسام اقليم السواد وجبل عوف ، اي الاراض الشمالية من شرقي الاردن فيأخذ كل منهما الثلث ويأخذ الفلاحون العرب الثلث الاخير [35]، ويبدو ان الطرفين كانا مضطرين لعقدهذه الهدنه كون طغتكين دخل صراع مع جيرانه من المسلمين اما بلدوين الاول فقد تعرض لعدة نكبات اصابتة بقتل هيو واسر ومقتل جيرفيه[36] وفي سنة 503هـ توجة مودود امير الموصل لقتال الصليبيين في بلاد الشام وظل يحاصر الرها لمدة شهرين الا انه لم يستطع اقتحام اسوارها وتراجع إلى حران وانظم اليه طغتكين اتابك دمشق [37]، وتابع بلدوين الاول القوات الاسلامية الا انة توقف فجأه بعد ان وصلتة اخبار بأن انسحاب مودود وطغتكين هي خدعة لجر قواتة إلى مكان القتل ، ووصول اخبار رضوان صاحب حلب بأنه ينوي الهجوم على انطاكيا مما اضطر تنكرد التخلي عن الحملة [38]، وجدد مودود هجومه على الرها سنة (505هـ) وفتح عدة مواقع شرق الفرات ثم توجة إلى الرها ، وحاول الامراء

المسلمين الاستفادة من هذه الحملة وخاصة رضوان صاحب حلب الذي طلب منة مساعدته ضد تنكرد وبعد توجه مودود إلى حلب اغلق رضوان الابواب خوفا منه ولم يتوانى عن التحالف مع تنكرد ضد القوات الاسلامية [39]، وتوجة مودود إلى الجنوب لاستعادة عدد من المواقع التي سيطر عليها تنكرد وانظم اليه طغتكين اتابك دمشق ، وقرر مودود الهجوم على

بيت المقدس بنائا على استنجاد طغتكين واستطاعوا استدراج بلدوين الاول إلى اراضي دمشق حتى جسر الصنبرة والتقى الجيشان وكتب النصر للقوات الاسلامية وهزم بلدوين الاول ووصل المسلمون إلى طبرية ، ومن ثم انسحبوا إلى دمشق[40]،

سقوط طرابلس

ادى سقوط طرابلس في يد الصليبيين إلى سيطرتهم على المعاقل الاسلامية في شمالي بلاد الشام ، وامر برتراند اتباعه بتوجه إلى رفنية الواقعة شرقي انطرطوس وخرج طغتكين للدفاع عنها وعسكر قريبا من حمص واكتفى بمراقبه الاوضاع وعجز الصليبيون عن اقتحامها ، وانتهى الامر بعقد الصلح بين طغتكين وبرتراند وجاء بونز بعد وفاة والدة برتراند وسار على نهج ابيه ومن سبقة في معاداة المسلمين واستطاع ان يتوسع على حساب املاك دمشق وحمص واستولى على حصن رفنية سنة (509هـ) التابع لطغتكين واستطاع طغتكين استعادته واسر عدد كبير فقتل بعضهم ،وترك بعضهم، وغنم المسلمون سوادهم ،وكراعهم وذخائرهم ما امتلات منة ايديهم ، وعادوا إلى بلادهم سالمين[41] .

اما ما فيما يتعلق بملك بيت المقدس فانة عاود هجومه على دمشق سنة (519هـ) فخرج اليه طغتكين للتصدي اليه ووقعت المعركة وانتصر المسلمون في بداية المعركة لكن انشغالهم بالغنائم ساعد بلدوين الثاني من اعادة تنظيم صفوفة والهجوم على جيش المسلمين وهزمهم وعاد إلى بيت المقدس [42].

المبحث الثالث

تولي بورى الاتابكيه

توفي طغتكين سنة (522هـ) وخلفه ابنه تاج الدين بورى واستغل الملك بلدوين الثاني وفاة طغتكين وقرر مهاجمة دمشق ولكنه كان بحاجة إلى قوة مادية فارسل الى اوربا لارسال المساعدات ، وتوجه بلدوين الثاني إلى دمشق وعسكر عند جسر الخشب على بعد عدة اميال من دمشق واستعد بوري للدفاع عن مدينته وحالت الظروف الجوية من ان يتم بلدوين ما بداه فتخلى عن مشروعه وعاد إلى بيت المقدس [43] ،

عماد الدين زنكي ودمشق

كان عماد الدين زنكي يرنوا بأنظاره إلى دمشق وكان مقتنعا بان لايستطيع مواصلة الجهاد ضد الصليبيين الا بسيطرتة على دمشق واقامة محور الموصل ،وحلب ، ودمشق وكانت ممتلكات المسلمين في بلاد الشام في ذلك الوقت تتوزع بين تلك القوى:

الاولى:-محورها بورى بن طغتكين اتابك دمشق الذي سيطر على دمشق وحماة الجبال وحوران من الجنوب

الثانية :- صمام الدولة خير خان بن قراجا امير حمص

الثالثة:-سلطان بن منقذ الامير العربي الذي يسيطر على شيزر .

وكان عماد الدين زنكي يرى ان هدفه لا يتحقق الا بسيطرته على حماة وحمص[44] .

لذلك ارسل إلى بورى بن طغتكين في دمشق يعلمة نيته في محاربة الصليبيين ويطلب منه المساعدة فارسل بورى إلى ابنه سونج في حماة يأمره بالالتحاق بعماد الدين لمساعدته وحال وصول سونج القى عماد الدين القبض عليه ووضعة في السجن فارسله مع عدد من قادة القوة إلى حلب ، وسار إلى حماة الخالية من الدفاعات واستولى عليها في (شوال 524هـ) وسلمها لحليفه[45] خير خان صاحب حمص ومن ثم توجه إلى حمص وقبض على صاحبها خير خان وعند وصوله إلى المدينة رفض اهلها تسليمها وقاوموه بضراوة وانسحب منها بعد حصار دام اربعين يوما واعاد الكرة في العام التالي الا انه فشل في المرة الثانية في الاستيلاء عليها[46].

التفاهم مع حكام دمشق

في عام(526هـ) توفى بورى بن طغتكين وخلفه ابنه شمس الملوك اسماعيل ، وكان طموحا استطاع ارجاع حماة من يد عماد الدين زنكي سنة 527هـ ،مستغلا انشغال زنكي بالصراع الدائر بين الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية لكن اسماعيل اساء السيره مع اهل دمشق وصادر اموالهم وبالغ في التخلص من معارضيه فكرهة الناس ،وساءت احوال دمشق[47]، وعلى ما يبدو ان اسماعيل ادرك عاقبة افعاله واصبح في وضع لا يمكنة السيطرة على اوضاع دمشق المضطربة فاتصل بعماد الدين زنكي وطلب منه استلام دمشق على ان يسلمه رقاب معارضيه وحذره انه اذا لم يتقدم بسرعة فسيقوم بتسليم المدينة للصليبيين ، وتحرك اعيان دمشق وامراءها واتصلوا بوالدته صفوة الملك زمرد خاتون واخبروها بسياسة ابنها وما ستجلبة لدمشق من كوارث[48] لذلك جاء هذا العرض بالنسبة

لعماد الدين زنكي فرصة كبيرة لطالما انتظرها من اجل توحيد الجبهة الاسلامية ،فتحرك من الموصل بسرعه باتجاه دمشق لكن وخلال مسيرته إلى دمشق حدثت تطورات داخلية في المدينة ادت الى مقتل اسماعيل ابن بورى نتيجة لمؤامرة دبرتها والدتة بالاتفاق مع المعارضين سنة (529هـ) وعينوا اخوة شهاب الدين محمود في الحكم فبايعة الناس والتفوا حوله ،وعندما وصلت الاخبار إلى عماد الدين زنكي استمر بالمسير لعله يستطيع ان يتفاهم مع الاتابك الجديد وصيغة تسليم المدينة ظانا انهم لن يستطيعوا المقاومة والصمود [49].

حصار دمشق .

بعد وصول زنكي إلى دمشق رفض اهلها التسليم ، ومن جهته اصرزنكي على ان يقوموا بتسليمة المدينة وضرب الحصار عليها و في اوائل جمادي الاول شن الغارات المتتالية عليها الا انه جوبه بمقاومة عنيفة من قبل اهلها وتزعم المقاومة معين الدين انر احد اتابكة طغتكين [50]، وبعد ان ايقن انه لن يستطيع اقتحامها عقد صلحا مع اهلها وعاد إلى حلب بعد ان وجة له الخليفة امرا بالانسحاب وفك الحصار والتوجه بقواتة إلى بغداد لمساعدته في قتالة مع السلطان مسعود [51]، وهكذا فشلت كل جهود زنكي في السيطرة على دمشق ، وظلت هذه المدينة عقبة كؤود في مشاريع زنكي لامد طويل وعطلت الوحدة الاسلامية في بلاد الشام [52]، وادرك زنكي ان اي يعمل اتجاه الصليبيين لابد ان يسبقة توحيد الامارات الاسلامية في بلاد الشام ، وبدء بالهجوم على حمص التي كان يحكمها معين الدين انر نائبا عن البورين في دمشق وظلت هجمات عماد الدين زنكي تطال هذه المدينة لمدة ثلاث سنوات (530-532) ففي سنة (530) شهدت المدينة هجوما مما ادى إلى ان وجد حاكمها قريش بن خير خان نفسة غير قادر على حفظها فاستنجد بصاحب دمشق شهاب الدين محمود طالبا منه ان يرسل من يجده اهلا لتولي مسؤولية المدينة فوافق شهاب الدين وخاصة ان مدينة حمص لها اهميتها وتسلمها واقطعها معين الدين انر [53]، واستمر الزنكيون بالضغط على حمص وتوالت هجماتهم على المدينة الا ان المدينة صمدت بوجة كل الهجمات فاضطر سوار ابن ايتكين نائب عماد الدين زنكي في حلب إلى طلب التفاوض ، واتفقوا على عدم تعرض اي طرف للاخر [54]، ورفض عماد الدين زنكي حرب الصليبيين لانها ليس لها جدوى اذا لم تتوحد البلاد الشامية وجدد هجماته على حمص ،الا

انة فشل مرة اخرى بسبب وقوف معين الدين انر وقواته بوجهه عماد الدين ، وبدت تلوح بالافق بوادر اتفاق بينه اي معين الدين انر والصليبيين [55]،

الهدنة مع دمشق .

وعقد عماد الدين هدنة مع حكام دمشق من اجل التفرغ لقتال الصليبيين الذين تجمعوا في حصن بارين المنيع واستطاع عماد الدين تحقيق النصر عليهم[56] وهكذا تهيئت الفرصة له لمهاجمة املاك ال بورى في بلاد الشام ، فهاجم بعلبك سنة 532هـ الا انه رضى بما منحه صاحبها من المال ، وسار بعد ذلك إلى حصن المجدل واضافة إلى املاكه [57]، ونتيجة لهذه الانتصارات التي حققها وما وجده من قوة اتاحت لة ان ينقض الهدنة مع حكام دمشق ويهاجم المدينة الا ان تحرك الامبراطور البيزنطي يوحنا كومنين ضد الاملاك الاسلامية في شمالي بلاد الشام ،اجبر عماد الدين زنكي إلى ارسال قوه عسكريه على وجه السرعة بقيادة القائد سوار لحماية حلب ، وكان الامبراطور البيزنطي يأمل في ان يتم مباغتتها ، وعندما وجد تحصيناتها منيعة تركها وتوجه إلى الجنوب واحتل الاثارب ، وكفر طاب ،ومعرة النعمان ، واصبح على ابواب شيزر [58]، وبسرعة فك الحصار عن حمص وتوجه إلى قاعدة شيزر ، وقد استعصت المدينة على البيزنطيين، ازاء ذلك فمثلا العداء بين البيزنطيين والصليبيين اضطر الامبراطور البيزنطي إلى الانسحاب والعوده إلى بلادة [59].

ولم تفارق حمص خاطر عماد الدين زنكي واستخدم كل الطرق للسيطرة عليها الا ان كل محاولاته بائت بالفشل فاتجه هذه المرة إلى اسلوب اخر الا وهو العلاقات العائلية ،مع حكام دمشق فعرض ان يتزوج من صفوة الملك زمرد خاتون ويزوج ابنته من الاتابك شهاب الدين محمود ، مقابل تسليمه حمص وتم عقد الزواج خلال شهر رمضان (532هـ)[60]، كان هدف زنكي من هذا الزواج السيطرة على دمشق لكنه لم يحقق ذلك لأن زمرد خاتون ما ان غادرت دمشق حتى اضحى ابنها محمود هو المتحكم في البلد[61].

المبحث الرابع

مقتل شهاب الدين وتجدد هجمات زنكي

وما ان حلت سنة 533هـ حتى تعرضت دمشق لخطرين في ان واحد خطر الصليبيين من الجنوب وخطر زنكي من الشمال ، اما الخطر من الجنوب فقد بدء يتراجع

تدريجيا إلى ان انتهى ،اما الجهه الشمالية فان سياسة عماد الدين زنكي تجاة دمشق فقد اختلفت تماما فهو بوصفة المدافع عن المسلمين فكان لزاما علية السيطرة عليها ، الا انها امتنعت عليه ،وشهدت دمشق احداث متسارعة ادت إلى مقتل شهاب الدين محمود علي يد رجاله [62]، واستلم الحكم بعده اخوه غير الشقيق جمال الدين محمد ، واصابع الاتهام كانت موجهة إلى معين الدين انر لانه استفرد بالحكم بعد ان فوضه الاتابك كل امور المدينة واقطعه بعلبك [63]، وبعد هذه التطورات غدى معين الدين انر هو الحاكم الفعلي في دمشق [64].

لم تخدم تلك التطورات عماد الدين زنكي ، اضافة إلى ان زوجته زمرد خاتون عز عليها ان يقتل ابنها ويتولى ابن ضرتها حكم دمشق فارسلت إلى عماد الدين زنكي تطلب منه المسير من الموصل والتوجه إلى دمشق للسيطرة عليها واخذ ثأر ابنها ، اضافة إلى طلب زمرد خاتون فان جمال الدين محمد كان له اخ يدعى بهرام شاة كان يطالب بنصيبه من الحكم فقام بالتوجه إلى الموصل لكي يساعده زنكي [65]،واستجاب نورالدين لطلب زوجتة وبهرام شاة علما انه لم يكن محتاجا لهذا الطلب فهو الذي كانت عينة ترنو إلى دمشق على الدوام وتوجه بقواته سنة 533هـ قبل ان تستقر الامور فيها وكان زنكي يدرك ان هجومة على دمشق لن يكون سهلا وهم الذين اخلصوا لبيت بورى ، فهاجمها وما ان سمعوا بتقدم قوات زنكي حتى استعدوا للدفاع عن المدينة وتوجة عماد الدين إلى بعلبك وسيطر عليها وكانت اقطاعا لانر ودخلها في سنة (534هـ)[66]، وضم قبلها حمص وحماة وبانياس والمجدل وضم تلك المناطق كان لعزل دمشق عن باقي المناطق وإضعافها اقتصاديا وعسكريا [67]، واستقر عماد الدين زنكي في بعلبك إلى حين تنظيم امورها وعين عليها نجم الدين ايوب وسار بعدها إلى دمشق وحاول ان يستميل جمال الدين محمد مقابل ان يمنحة حمص وبعلبك الا انة رفض هذا العرض ووقف معه رجال دولته وعلى رأسهم معين الدين انر [68]، وعلى اساس هذا الموقف تقدم عماد الدين زنكي إلى دمشق وفرض حصار عليها وحدثت عدة اشتباكات بين الطرفين وكانت من صالح زنكي وتوقف بعد عشرة ايام لاعطاء فرصة واستجاب جمال الدين محمد تحت الضغط لعرض زنكي الا انه جوبه بمعارضة شديدة من معين الدين انر ما اجبره على استئناف القتال[69]،وفي هذه الاثناء توفي جمال الدين محمد وحاول عماد الدين الاستفادة من النزاع بين الورثة في استغلال الموقف الا ان معين الدين انر اسرع

بتنصيب مجير الدين ابق محمد اميرا على دمشق مما قوى الجبهة الداخلية وحاول عماد الدين البقاء على الحصار لعله يؤتي ثمارة في تسليم المدينة [70].

التحالف بين دمشق والصليبيين.

بعد هذا الاصرار من قبل عماد الدين زنكي رأى انر ان يستعين بالصليبيين فقام بارسال اسامة بن منقذ إلى ملك بيت المقدس فولك الانجوي ،يطلب منه المساعدة على ان يدفع لة عشرين الف دينار شهريا ويعيد له حصن بانياس بعد ان يأخذوه من زنكي كذلك اخبره بأن سيطرة زنكي على دمشق ستجعل مقدرات بلاد الشام في يديه مما يشكل خطرا كبيرا على الصليبيون [71]، ادرك فولك الانجوي ومستشاريه وقادته ان سيطرة عماد الدين زنكي على الموصل وحلب وحماة وحمص وبعلبك تشكل خطرا كبيرا اذا ما اضيف اليها دمشق وهي خطوة كبيرة باتجاه الوحدة الاسلامية بين شمال العراق وبلاد الشام ،واقتنعوا بعرض انر [72]، وسار الصليبيونالى دمشق بقيادة فولك وعندما سمع زنكي فك الحصار وعاد إلى حمص خوفا من ان يقع بين فكي كماشة وتمكن الصليبيين وانر من السيطرة على بانياس وتسلمها فولك على ضوء الاتفاق المبرم [73]، وكانت هذه اخر محاولة جدية لعماد الدين زنكي في السيطرة على دمشق حتى وفاته (541هـ) [74]

دمشق والحملة الصليبية الثانية.

عندما وصل كونراد الثالث ملك المانيا ولويس السابع ملك فرنسا قادة الحملة الصليبية الثانية إلى بيت المقدس كان عليهم ان يختاروا بين توجهين التوجة الاول وكان يمثله حكام الامارات الصليبية الشمالية لانطاكيا والرها وطرابلس فريموند بواتيه حكام انطاكيا كان يريد من الملك لويس السابع مساعدته بحكم اواصر القرابة فريموند خال اليانور زوجه لويس السابع [75]، كون نور الدين شكل خطر عليه بالمناطق التي سيطر عليها ورئى الهجوم على حلب كونها مركز القوة التي فتحت الرها ، فيما رأى جوسلين الثاني صاحب الرها ان تتوجه الحملة لاسترجاع الرها على اعتبار ان الحملة الصليبية الثانية قامت بعد سقوط الرها [76]، اما ريموند الثاني امير طرابلس فاراد ان يستفاد من الحملة لغرض استعادة المناطق التي فتحها المسلمون سنة 534هـ [77]، اما التوجة الثاني فكان يمثله حكام بيت المقدس ويقضي بمهاجمة دمشق وبعد مداولات كثيرة تقرر تبني وجهت النظر الثانية [78]، وفي حقيقة الامر فان الهجوم على دمشق كان بمثابة الخطا الاكبر الذي اتخذة حكام بيت

المقدس كون اتابكية دمشق هي الوحيدة التي ضلت على صداقتها مع الصليبيين اضافة إلى ان اتابك دمشق كان اكثر تطرفا من الصليبيين في عداوة نور الدين محمود متناسين ان الهجوم عليها سيدفع بالمسلمين في دمشق إلى الاستعانه بنور الدين محمود في حين كانت فكره حكام بيت المقدس هي السيطرة على الاراضي الخصبة التي تتبع دمشق[79].

التصدي للصليبيين امام دمشق.

توجه الصليبيون إلى دمشق وعسكروا في المكان المعروف بمنازل العساكر على اربعة قراسخ إلى الجنوب من دمشق انتشروا في البساتين والحدائق لكنهم افتقدوا الى الماء فقاموا باحتلال قرية المزة لوفرة المياة فيها [80]، ووصل الصليبيون إلى اسوار المدينة وايقن المسلمون في دمشق بالهلاك ،فقام اتابك دمشق معين الدين انر بالاستنجاد بسيف الدين غازي امير الموصل [81]،استجاب سيف الدين غازي بسرعه فتوجه من الموصل وصحب معه اخوه نور الدين محمود ونزل في حمص واستطاع ان يجمع سبعون الفا من المقاتلين[82]، ومن المعروف عن معين الدين انه كان متقلب المزاج في التعامل مع امراء وحكام المسلمين حفاظا على منصبه وبنائا على هذه المعلومات التي عرفها سيف الدين غازي عن انر توقف في حمص كما اشرنا وطلب من انر ان يسلم دمشق لاحد نوابه إلى ان تنتهي المعركة ويرحل الصليبيون ثم يعيدها اليه [83]، الا ان انر رغم الظروف التي كان يمر بها بقي يماطل مع سيف الدين غازي ويرسل للصليبيين ويقول لهم (بان ملك الشرق قد حضر فان رحلتم والا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون)[84]، كذلك استفاد من الخلاف الذي نشب بين قادة الحملة الصليبية الثانية والامراء الصليبيين القدماء من بلاد الشام وحاول الاستفادة من هذا الموقف وتعميق حدة الخلاف واستخدم الرشاوي للصليبيين المحليين ووعدهم بدفع الجزيه واضف إلى ذلك ان الصليبيين لم تاتهم امدادات واصبحوا في وضع حرج والجيش الزنكي في طريقه اليهم مما يؤدي إلى وقوع دمشق بيد الزنكيين فقرروا رفع الحصار عن المدينة [85]، وهكذا ساعدت القوات الزنكية في الموصل وحلب في انقاذ دمشق من السقوط في يد الصليبين.

اوضاع دمشق بعد وفاة انر .

توفي معين الدين انر عام544هـ وحاول نور الدين محمد الاستفادة من وفاة انر وحتى يؤمن ظهره عقد اتفاق مع ايميري تقرر على اساسة ان يحتفظ نور الدين بالبلاد

المجاورة لاماره حلب ويحتفظ ايميري بالبلاد المجاورة لامارة انطاكيه[86] اما ما كان من اعوان انر فانهم عقدوا مجلس واتفقوا ان يتولى حكم دمشق مجير الدين ابق الذي كان معين الدين انر يحكم بأسمة وقد تطلع مؤيد الدولة المسيب ابن علي الصوفي ان يستأثر بحكم دمشق نتيجة لما عرف به مجير الدين ابق من قسوة وظلم لاهل دمشق وقد قام مؤيد الدولة بأثارة الشغب بدمشق مما اجبر مجير الدين ابق على الاستجابة لمطالبه وعارض ابن السلار شحنة دمشق توسع نفوذ مؤيد الدولة مما قسم دمشق إلى قسمين و اعاد الفوضى إلى دمشق الامر الذي ادى الى هروب ابن السلار [87]، وكانت دمشق بحاجة إلى شخصية قوية تحميها من الصليبيين ونور الدين الا ان مجير الدين لم يبال بما يجري حولة واهتم بامنه الشخصي فقط[88]، واستمر تدهور الوضع السياسي في دمشق ولم يبق لمجير الدين ابق هيبة فيها ،و اصبح الصليبييون لهم القول الفصل في دمشق كان يأتي رسولهم يجبي من اهل البلد واشتد البلاء على اهلها[89]، وفي هذه الاثناء حدثت خلافات عائلية بين الملكة ميليسيند الوصية على العرش وبين ابنها بلدوين الثالث الذي بلغ عمره الثمانية والعشرين وحاول ان يستقل بالحكم الا ان امه قد ذاقت حلاوة السلطة وارادت مقاسمته لكنه رفض ذلك واجل موعد تتويجه ،وضغط على بطريك بيت المقدس لتتويجه وحده [90]،وعمد انر في نهاية حكمه إلى التغاضي عما فعله الصليبييون وقرر تجديد الصلح معهم خوفا من نور الدين محمود وجدد الصلح لمدة سنتين[91] ،

محاولة نور الدين الاولى لضم دمشق .

حاول نور الدين محمود ان يستفيد من الاوضاع المضطربة في بيت المقدس وعندما علم بالاتفاق ادرك مدى الخطر الذي قد يسببه هذا الاتفاق وقرر الهجوم على دمشق ولكنه وهو يستعد جائته انباء عن وفاة اخية سيف الدين غازي صاحب الموصل وتولي اخيه قطب الدين مودود امرها فترك امر دمشق مؤقتا وذهب إلى الموصل من اجل اعادة ترتيب البيت الزنكي وبعدها عاد إلى دمشق ليقوم بالهجوم عليها ، وحاول ان يوقع بين الصليبيين واهل دمشق لاسيما وان العلاقات لم تكن بالمستوى المطلوب واستغل توجه قوة من الصليبيين إلى حوران وقرر التصدي لها واستعان بزعماء دمشق لامداده بالمساعدات[92]، واراد نور الدين الوقوف على نوايا دمشق بطلب المساعدة الا ان مجير الدين ابق رد ردا مجافيا على اساس ذلك توجه إلى دمشق ووجه جنوده باحسان التصرف مع السكان [93]، وعندما علم مجير الدين ابق بمسيرة نور الدين محمود استنجد بملك بيت المقدس بلدوين الثالث اما نور الدين

فغير موقع قواته إلى جسر الخشب بمنازل العساكروهوعلى بعد اربعة اميال جنوبي دمشق وارسل إلى مجير الدين ابق يوبخه على ارتمائة في احضان الصليبيين ويطلب منه مساعدته لضرب الصليبيين في عسقلان ا لتي كانت تتعرض لهجماتهم [94]، وجاء رد مجير الدين ابق هذه المرة كما المرات السابقة بل كان اقسى وقال له(ليس بيننا وبينك الا السيف ،وسيوافينا من الافرنج ما يعيننا من دفعك ان قصدتنا ونزلت علينا)[95]، ولكن المساعدة الصليبية لم تأتي ووجد مجير الدين ابق نفسه وحيدا فعرض على نور الدين في شهر محرم عام 545هـ ان يدخل تحت حكمة واشترط ان يبقى في حكم دمشق وانسحب نور الدين من امام دمشق بعد هذا الاتفاق حقنا لدماء المسلمين وهطول الامطار الغزيرة الذي اعاقت تقدم جيشة وقد اراد نور الدين ان يوصل رسالة إلى اهل دمشق بأنة يشفق عليهم واراد كسب قلوبهم[96].

محاولة نور الدين محمود الثانية ضم دمشق .

بعد انتهاء امر الرها وتصفية المناطق التابعة لها توجه نور الدين إلى دمشق من اجل القضاء على اتابكية دمشق المتحالفة مع الصليبيين وكان توجهه عام 546هـ عند سماع زعماء دمشق عمدوا إلى ارسال من يفسد الزرع المحيط بالبلدة كي لا يستفيد نور الدين منه واضطربت الامور ،وغلت الاسعار، وارسل نور الدين إلى مجير الدين ابق بأن غايته اصلاح حال المسلمين وتحرير اسراهم وكان رد مجير الدين كما رد سابقا مجافيا [97]، وعليه تحرك نور الدين الا انه لم يستعجل الهجوم حقنا لدماء المسلمين ولعل المدينة تسلم له بدون قتال وقرر نور الدين الانسحاب إلى داريا بعد شهر من الحصاراذ وصلت الاخبار بان بلدوين الثالث قادم لمساعدة حليفة مجير الدين ابق ووصل بلدوين الثالث إلى دمشق في الثالث من شهر ربيع الاول سنة 546هـ [98]، ودخل ملك بيت المقدس وجنوده إلى مدينة دمشق وتجولوا في الاسواق وقرروا مهاجمة حصن بصرى الذي اعلن حاكمها الخروج عن سلطة دمشق وهي كانت تابعة لها لاجبار نور الدين عن ترك دمشق الا ان حاكمها سرخاك استنجد بنور الدين الذي انجده ومنع سقوط الحصن الا ان سرخاك وكعادة الامراء في ذلك الوقت غيررأيه واستعان بالصليبيين واتخذهم اصدقاء [99]، وبمجرد ترك الصليبيين لدمشق وعودتهم إلى بيت المقدس توجه نور الدين إلى دمشق وحاصرها الا انه توقف مرة اخرى تحرجا من قتال المسلمين وقال(لا حاجة الى قتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضا وانا اؤخرهم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين) وجرت بعد ذلك مفاوضات

بين الجانبين اشترك فيها اسد الدين شيركوة ، واخوه نجم الدين ايوب نيابة عن نور الدين محمود[100]، وتم الاتفاق بين الطرفين وتحسنت العلاقة بين الجانبين حتى ان مجير الدين ابق زار حلب واكرمه نور الدين واحسن استقبالة [101]، وقد ادى هذا الاتفاق إلى تخوف بلدوين الثالث فقام باحتلال عسقلان [102]، كان سقوط عسقلان ردة فعل قوية لدى نور الدين وفتحت الابواب امام صراع مفتوح مع بيت المقدس وكان الوضع في داخل دمشق قد وصل إلى مرحله فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم فنتيجة لارتماء مجير الدين ابق في احضان الصليبيين فقد قل احترامه من شعبة وكان نور الدين ذو نظرة ثاقبة فقد ادرك ان دمشق لن تؤخذ بالقوة بل لا بد من استخدام الطرق السياسية فاستغل الفجوة بين مجير الدين والناس داخل دمشق فتقرب من مجير الدين محاولا اقناعه بانه تناسى الماضي وواصله بالهدايا حتى اقتنع مجير الدين بكلام نور الدين[103]، واقدم نور الدين إلى خطوة اخرى اكثر تأثير وهي بث الشك بين مجير الدين ابق والمقربين منة من قادة وامراء واتت هذه الخطوة ثمارها ،فاقدم مجير الدين على القاء القبض على عدد من رجالة فقتل بعضهم وسجن بعض والتف الناس حول مؤيد الدين الصوفي فقام مجي الدين باعتقالة وسجنة وقتل اخية [104]،وفقد مجير الدين ثقتة باعوانة ولم يبق معه سوى عطاء بن حفاظ السلمي الخادم وكان من اشد الناس وفاءا له واستطاع ان يقف بوجة توجهات نور الدين وادرك نور الدين انة لن يستطيع ان يحقق سياستة بوجود هذا الرجل[105]، فسعى للايقاع بة عند مجير الدين ابق ونجحت الخطة وقتل عطاء[106]، وتم فرض حصار على دمشق من قبل نور الدين ادى إلى مجاعة في المدينة وترك الكثير من الناس دمشق

وتوفي اناس في الطرقات وانقطعت الميرة عن دمشق بالكامل ،وقام ببث الاشاعات داخل المدينة بان ما حدث كان خطا مجير الدين ابق لكونة لم يتعاون مع المسلمين وكان الوضع حرجا للغاية واصبح مجير الدين وحيدا وراسل نور الدين الاحداث من داخل المدينة ووعدهم بالاحسان كذلك ارسل سفارة مكونة من الف فارس بقيادة اسد الدين شيركوة ، ورفض مجير الدين استقبالة[107] ،واعتبر نور الدين هذا التصرف اهانة لة فتقدم بجيشة نحو دمشق في شهر صفر 549هـ وحدثت بعض المناوشات خارج المدينة ، وعندما ادرك مجير الدين ابق بأن موقفة اصبح ضعيفا ارسل إلى بلدوين الثالث طالبا المساعدة على ان يمنحة الاموال وقلعة بعلبك[108]،وتأخر بلدوين الثالث في القدوم في الوقت الذي دخل نور الدين المدينة عن طريق اعوانة من حراسها واهلها، بعد مناوشات قليلة مع جيش مجير الدين واحتمى

بالقلعة الا انة لم تمضي ساعات حتى اعلن استسلامة وابقى نور الدين على حياته واعطاه حمص واعمالها الا انة طرد بعد اكتشاف مؤامرة قام بها للعودة لحكم دمشق ، وعرض علية نور الدين حكم بالس على الفرات لكنة رفض وتوجه إلى
بغداد وقضى حياته فيها إلى وفاته [109] . وهكذا قدرلنورالدين محمود انهاء اتابكيه دمشق والسيطره عليها سنه 549هـ.

الخاتمة

تكمن اهمية الموضوع الذي بحثنا فيه اتابكية دمشق والاوضاع السياسيه في بلاد الشام (497هـ-549هـ) لدورها الهام الذي لعبته على امتداد حقبه حكمها في دمشق فقد كانت هذه الاتابكيه عند تولى طغتكين اتابكيه دمشق بعد وفاة دقاق سنة497هـ من المدن التي شاركت في قتال الصليبيين تارة وفي مهادنتهم تارة اخرى بل والتعاون معهم في بعض الاحيان فقد شارك اول الاتابكه وهو طغتكين في قتال الصليبيين مع امير الموصل مودود بن التونتكين وبعد وفاة طغتكين تولى ابنه بورى وفي زمنه بدء عماد الدين زنكي تحركه باتجاه دمشق لاقامه محور الموصل حلب ودمشق ونتيجة لتطلعات زنكي في السيطرة على دمشق فقد ضلت العلاقات غير جيدة بينة وبين بورى إلى وفاته سنة526هـ وتولى بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل الذي استطاع ان يعيد حماة بعد انشغال زنكي بالصراع بين السلاجقة والخلافة، وفي سنة 529هـ قتل اسماعيل ليحل محله شخصية من اقوى الشخصيات التي استطاعت الوقوف بوجه زنكي وابنة نور الدين زمنا طويلا وهذه الشخصيه هو معين الدين انر الذي لم يدخر جهدا في حمايه دمشق ولم يتمكن نور الدين من العمل الفعلي لسيطرة على دمشق الا بعد وفاة معين الدين انر سنة 544هـ ومجئ شخصية ضعيفة وهو مجير الدين ابق الذي سقطت في زمنه اتابكيه دمشق سنة 549هـ
ومن النقاط التي يمكن ان نستنتجها:-

1-كان موقف طغتكين اتابك دمشق مع الامراء الذين جاءوا إلى بلاد الشام من اجل الجهاد ايجابيا لاسيما مع الافضل بن بدر الجمالي ومودود على ما ذكر من تفاصيل استشهاد مودود بن التونتكين
2-كان خلفاء طغتكين الذين جاؤو من بعدة ضعفاء لم يتمكنوا من ملئ الفراغ الذ تركة بعد وفاته

3-ضلت دمشق في وضع غير مستقر طيلة فترة الاتابكية في لاطماع امير الموصل فيها وضمها إلى الوحدة الاسلامية التي كان يريد ان يحققها

4-كان معين الدين انر من الشخصيات القويه التي تمكنت من الوقوف بوجه عماد الدين زنكي وابنة نور الدين محمود وصمدت دمشق فترة حكمه امام تطلعاتهم لضمها

5-ان مجئ مجير الدين ابق كان المسمار الذي دق في نعش اتابكية دمشق لكونة من الشخصيات الضعيفة

6-ادت السيطرة على حلب إلى اهمية كبيرة في الساحة الشامية فقد رفعت الروح المعنوية للمسلمين وتدهورها بالنسبة للصليبيين وكانت معززة للوحدة الاسلامية التي اكتملت بضم المناطق الواحدة بعد الاخرى .

الهوامش

1-ابن القلانسي: ابو علي حمزة بن اسد بن علي بن محمد(ت555هـ) ذيل تاريخ دمشق مطبعة الاباء اليسوعيين ،بيروت ،ص98-99

2-ابن ميسر: محمد بن علي (ت673هـ) اخبار مصر ،مطبعة العلمي،مصر، ،23

3-سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف(ت654هـ)مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ،دار المعارف العثمانية، حيدر اياد الركن،الهند ،ص171

4-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،,167

5-ابن العديم : كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت660هـ) زبدة الحلب من تاريخ حلب ،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان، ،282/1

6-ابن الاثير: ابو الحسن علي بن محمدت(630هـ) الكامل في التاريخ ،مطبعة دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،،261-260/8

7-ابن العديم :زبدة الحلب ،293/1

8-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق، ص109-112

9-ابن العديم :زبدة الحلب ،301/1

10-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،303/8

11-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،ص127

12-ابن العديم :زبدة الحلب ،109/2

13-ابن العديم :زبدة الحلب ،120/2

14-ابو الفداء : كمال الدين اسماعيل بن محمد المختصر في اخبار البشر دار المعرفة ،بيروت ،109/1،اليافعي : ابو محمد ابو عبدالله شهاب الدين الحموي الرومي(626هـ) مرآة الزمان،152/3

15-باركر: ارنست الحروب الصليبية نقلة إلى العربية السيد الباز العريني،دار النهظة العربية، بيروت ،36

16- ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،191/10، ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (749هـ) تاريخ ابن الوردي منشورات المطبعة الحيدرية ،النجف ط2 1969، 192/2

17-ابن الاثير:الكامل في التاريخ ،192/10

18-ابن تغري بردي : جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت874هـ) النجوم الزاهرة وملوك مصر والقاهرة ،المؤسسة المصرية للطباعة ،النجوم الزاهرة ،147/5

19-رنسيمان : ستيفن تاريخ الحروب الصليبية:ترجمة السيد الباز العريني ،دار الثقافة،بيروت ،350/1، عاشور: سعيد عبد الفتاح الحركة الصليبية :مكتبة الانجلوا مصرية'القاهرة،203/1

20-فولتر الشارتري.تاريخ الحمله إلى القدس :ترجمة زياد العلي ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان،الاردن،ص125
21- ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،240
22-وليم الصوري :تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر،بيروت،521/1
23-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،160
24-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،561/8
25-فولتر الشارتري :تاريخ الحمله،ص147
26-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،589/8
27-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،590/8
28-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،ص285
29-فولتر الشارتري :تاريخ الحمله،149-150
30-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،300
31- وليم الصوري:تاريخ الحروب ،473/1
32-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،438/8
33-سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ،747/2
34-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،ص258-259
35-ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ،180/5
36-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،574/8
37-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،ص271
38-رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية ،189/2
39-ابن العديم :زبدة الحلب ،369/1
40-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،297
41-ابن الاثير :الكامل في التاريخ،609/8
42-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،339
43-رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية ،288/2
44-خليل : عماد الدين زنكي الدار العلمية ،بيروت ،119
45-ابن العديم :زبدة الحلب ،440/2
46-ابن واصل :جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق :جمال الدين الشيال ،دار احياء التراث القديم، وزارة المعارف المصرية ،46/1
47- ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،387
48-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،389
49-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،390-391
50-ابن الاثير:الكامل في التاريخ ،346/8
51-ابن الجوزي :المنتظم ،43/10
52-عاشور : الحركة الصليبية، 1963 ،455/1
53-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،397-398
54-سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ،165/8
55-ابن العديم :زبدة الحلب، 453/2-454
56-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق،407
57-ابن العديم :زبدة الحلب،455/2
58-ابن العديم :زبدة الحلب، 458/2
59-رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية ،344/2
60-سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ،165/8
61-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،359/8

62-النويري:شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ) نهاية الارب في فنون الادب ،المؤسسة المصرية،القاهرة ،25/87-88

63-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،421-422

64-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،364/8

65-ابن العديم :زبدة الحلب ،462/2

66-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،422-423

67-خليل :عماد الدين زنكي ،119

68-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،424

69-ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،425

70-ابن الاثير :الكامل في التاريخ،8/ص367

71-خليل :عماد الدين زنكي،129

72-وليم الصوري :تاريخ الحروب،678/2

73- ابن العديم: زبدة الحلب ،463

74-خليل :عماد الدين زنكي ،131

75- وليم الصوري :تاريخ الحروب770/2

76-رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ،447/2

77- وليم الصوري:تاريخ الحروب ،777/2

78-ابن العديم :زبدة الحلب، 464

79-رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ،452/2-453

80-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق 426

81-ابن الاثير :الباهر ،ص89

82-ابن الاثير:الكامل في التاريخ ،20/9

83-ابن الاثير :الباهر ،89

84-وليم الصوري :تاريخ الحروب،788/2

85-رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ،456/2

86-ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،27/9

87-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق،476

88-عاشور :الحركة الصليبية،657/2

89-ابن الاثير :الباهر،106

90-رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ،538/2

91-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،478

92-ابن الاثير :الكامل ،30/9

93-حسن حبشي: الحروب الصليبية الاولى دار الفكر العربي ،القاهرة ،63

94-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،479-480

95-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،480

96-حسن حبشي: الحرب الصليبية الاولى 64

97-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق،485

98-ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،468

99-رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ،542/2

100-ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،489

101-ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،491

102- حسن حبشي: الحرب الصليبية الاولى،69

103-ابن الاثير: الكامل في التاريخ 45/9

104-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق،500-501

105-ابن واصل :مفرج الكروب ،126/1
106-ابن الاثير الباهر، 107
107-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،503
108-ابن الاثير:الكامل في التاريخ،46/9
109-ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ،505

المصادر والمراجع

اولاً: قائمة المصادر.

-ابن الاثير: ابو الحسن علي بن محمد(ت630هـ)
1-الكامل في التاريخ ،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1965
2- الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ،تحقيق: عبد القادر الطليمات، دار الكتب الحديثة ، القاهرة
-ابن الجوزي:جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن(ت597هـ)
3- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،دار صادر، بيروت ،ط1 ،1358
-ابن العديم: كمال الدين عمر بن هبة الله (ت660هـ)
4- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار ،دار الكتاب العربي ،دمشق، ط1 ،1998
-ابن القلانسي: ابو علي حمزة بن اسد بن علي بن محمد (ت555هـ)
5- ذيل تاريخ دمشق ،تحقيق: سهيل زكار ،دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط1 1983
- ابن تغري بردي :جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت874هـ)
6- النجوم الزاهرة وملوك مصر والقاهرة ،المؤسسة المصرية للطباعة ،مصر
-ابو الفداء :اسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ)
7- المختصر في اخبار البشر ،المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة 1325
- النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ)
8- نهاية الارب في فنون الادب ،المؤسسة المصرية ،القاهرة
-ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر(ت749هـ)
9- تاريخ ابن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ط2 ،1969
-ابن واصل:جمال الدين محمد بن سالم(ت697هـ)
10- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب تحقيق:جمال الدين الشيال ،دار احياء التراث القديم،وزارة المعارف المصرية، ط1 ،1953
-اليافعي: محمد عبدالله بن اسعد بن علي(ت768هـ)
11- مرآة الزمان مؤسسة الاعلمي للنطبوعات ،بيروت، ط2 ،(1970)

ثانياً:قائمة المراجع.

-ابن.ميسر:محمد بن علي (ت673هـ)
12 - اخبار مصر، مطبعة العلمي، مصر1919
-باركر: ارنست.
13- الحروب الصليبية، ترجمة:السيد الباز العريني، دار النهظة العربية للطباعة والنشر،بيروت

-حبشي:حسن.
14- الحروب الصليبية الاولى ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط1 ،1974
-خليل:عماد الدين.
15- عماد الدين زنكي ،الدار العلمية ،بيروت، ط1 ،1971
-رنسيمان :ستيفن.
16- تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة:السيد الباز العريني، دار الثقافة ،بيروت، ط2 ،1981
-الصوري: وليم.
17- تاريخ الحروب الصليبية ،دار الفكر، بيروت، ط1، 1990
-عاشور:سعيد عبد الفتاح.
18- الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ،ط1 ،1963
-الشارتري: فولشر.
19- تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة:زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان ،الاردن ،ط1، 1990

Abstract

It is intended here , to talk about the political affaires in Sham during Atopkya rule .At the beginning I have talked about Seljuk and Fatimid struggle in Jerusalem ending with the appearance Crusades in 490 H. Crusaders can expand their authority to all Minor Asia and Sham , they can establish four emirates (Alraha,Antakya,Jeruselam and Tripoli). Normalization with Crusaders is clear at that time . Emadaldeen Zinky succeeds to unify Mosul and Sham but he fails to join Damascus with them ,because of betrayal of Arab rulers. After the death of Atopic (Muaeenaldeen Aner)544 H. , who is known of being strong leader of Damascus , a serious attempt appears to unify Damascus to the rest of cities .Actually Emadaldeen Zinky can not liberate Damascus but his son Nooraldeen Mahmood efficiently can do this in 549 H. and terminates Atopkya in Damascus.